الفصل الثامن:
فضل الخوف

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثامن: فضل الخوف

مقام الخوف

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾[1].

قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾[2].

أحاديث نبوية

* عَنْ ابنِ مسعود رضي الله عنه قال: حَدَّثَنا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهوَ الصَّادقُ المصدُوقُ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ[3] فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ المَلَكُ فَيَنفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِه، وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ. فَوَالَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلَهَا، وإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلَهَا»[4].

* عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ خُطْبَةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ فَقَالَ: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيْلاً وَ لَبَكَيْتُمْ كَثِيراً» فَغطَّى أَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ وجُوهَهُمْ وَلَهُمْ خَنِيْنٌ[5].

---

(1) سورة: البروج، الآية: 12.
(2) سورة: الزمر، الآية: 16.
(3) يجمع خَلقهُ: أي ما يخلق منه.
(4) متفق عليه.
(5) خنين: هو بكاء مع الغنة وانتشاق الصوت من الأنف.

وفي رواية: بَلَغَ رَسُولَ الله ﷺ عَنْ أَصْحَابِهِ شَيءٌ فَخَطَب، فَقَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الجَنَّةُ وَالنَّار، فَلَمْ أَرَ كَاليَوْمِ فِي الخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُم قَلِيلاً، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً» فَمَا أَتَى عَلَى أَصْحَابِ رَسُول الله ﷺ يَوْمٌ أَشَدُّ مِنْهُ غَطَّوْا رؤُوسَهُمْ وَلَهُمْ خَنِينٌ[1].

❀ ❀ ❀

دموع الخائفين تطفئ لهب المحشر

ورد أنه إذا كان يوم القيامة، جيء بجهنم تزفر زفرة فتجثو كل أمة على ركبها من هولها كما قال الله تعالى:

﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾[2] أي على الركب، كل أمة تدعى إلى كتابها فإذا أتوا النار سمعوا لها تغيظاً وزفيراً، وتسمع زفرتها من مسير خمسمائة عام، وكل واحد من الأنبياء يقول: نفسي ... نفسي، إلا صفيَّ الأنبياء عليه السلام فإنه يقول: أمتي ... أمتي، وتخرج من الجحيم نار مثل الجبال، فتجهد أمة محمد ﷺ في دفعها وتقول: يا نار بحق المصلين، وبحق المصدقين، وبحق الخاشعين، وبحق الصائمين، أن ترجعي فلا ترجع، وينادي جبريل عليه السلام: أن النار قد قصدت أمة محمد ﷺ ثم يأتي بقدح من ماء فيتناوله رسول الله ﷺ ويقول: يا رسول الله خذ هذا فرشَّه عليها، فتطفأ في الحال، فيقول رسول الله ﷺ: ما هذا الماء؟

فيقول جبريل عليه السلام: هذا ماء دموع عصاة أمتك، الذين بكوا من خشية الله تعالى، فالآن أمرت أن أعطيكه لترشه على النار فتنطفئ بإذن الله تعالى[3].

وحكي عن محمد بن المنذر رحمه الله أنه كان إذا بكى يمسح وجهه ولحيته بدموعه ويقول: بلغني أن النار لا تأكل موضعاً مسته الدموع.

❀ ❀ ❀

(1) متفق عليه.
(2) سورة: الجاثية، الآية: 28.
(3) موسوعة الخطباء والمرشدين.

الخوف علَّمه الحياء

قال أبو سليمان الداراني: قال الله تعالى: «يا عبدي إنك ما استحييت مني .. أنسيتُ الناس عيوبك وأنسيتُ بقاع الأرض ذنوبك لئلا تشهد عليك يوم القيامة ومحوت من أم الكتاب زلاتك ولا أناقشك في الحساب يوم القيامة».

قيل: رؤي رجل يصلي خارج المسجد فقيل له: لمَ لا تدخل المسجد فتصلي فيه!؟

فقال: أستحي منه تعالى أن أدخل بيته وقد عصيته[1].

❀ ❀ ❀

من خوفه غفر له

قيل: خرج عيسى عليه السلام ومعه صالح من صالحي بني إسرائيل فتبعهما رجل خاطئ مشهور بالفسق فيهم، فقعد منتبذاً ـ منفرداً ـ عنهما منكسراً ذليلاً فدعا الله سبحانه وقال: «اللَّهم اغفر لي».

ودعا هذا الصالحُ وقال: «اللَّهم لا تجمع غداً ـ أي يوم القيامة ـ بيني وبين ذلك العاصي» فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام:

«إني قد استجبت دعاءهما جميعاً، رددت ذلك الصالح لاغتراره بعمله وغفرت لذلك المجرم».

فقد استحق هذا المقام من خوفه من عمله ومهابته من ربه ونظر إلى عمله بعين النقص[2].

❀ ❀ ❀

موعظة صغير لمالك بن دينار

روي عن مالك بن دينار رحمه الله أن مرَّ يوماً على صبي وهو يلعب بالتراب

---

(1) الرسالة القشيرية.
(2) الرسالة القشيرية.

يضحك تارة ويبكي أُخرى.

قال: فهممت أن أسلم عليه فامتنعت نفسي تكبراً فقلت: يا نفس! كان رسول الله ﷺ يسلم على الكبار والصغار، فسلمت عليه.

فقال: عليك السلام ورحمة الله وبركاته يا مالك بن دينار.

فقلت: من أين عرفتني ولم تكن رأيتني؟

فقال: حيث التقت روحي بروحك في عالم الملكوت، عرَّف بيني وبينك الحي الذي لا يموت.

فقلت: ما الفرق بين العقل والنفس؟

قال: نفسك التي منعتك عن السلام، وعقلك الذي بعثك عليه.

فقلت: ما بالك تلعب بهذا التراب؟

فقال: لأنَّا منه خلقنا وإليه نعود.

فقلت: أراك تضحك تارة وتبكي تارة أُخرى؟

قال: نعم!! إذا ذكرت عذاب ربي بكيت، وإذا ذكرت رحمته ضحكت.

فقلت: يا ولدي أي ذنبٍ لك حتى تبكي؟

فقال: يا مالك لا تقل هذا فإني رأيت أمي لا توقد الحطب الكبار إلا ومعه الصغار فعليك بالاعتبار[1].

❀ ❀ ❀

علاج الهم

رأى العابد الزاهد إبراهيم بن أدهم رحمه الله رجلاً مهموماً فقال له: أيها الرجل: إني أسألك عن ثلاث فأجبني، قال: نعم .قال إبراهيم: أيجري في هذا الكون شيء لا يريده الله؟ قال الرجل: كلا.

قال إبراهيم: أفينقص من رزقك شيء قدره الله؟ قال الرجل: كلا. فقال له إبراهيم: أفينقص من أجلك لحظة كتبها الله لك في الحياة؟ قال الرجل: كلا،

(1) موسوعة الخطباء والمرشدين.

فقال له إبراهيم: فعلامَ الهم إذن؟

* قال أبو الربيع لداود الطائي: عظني، فقال: صم عن الدنيا واجعل فطرك الآخرة وفِر من الناس فرارك من الأسد.

* وقال الحسن: كلمات أحفظهنَّ من التوراة: قنع ابن آدم فاستغنى، اعتزل الناس فسلم، ترك الشهوة فصار حراً، ترك الحسد فظهرت مروءته، صبر قليلاً فتمتع طويلاً.

* وقال رجل لسهل: أريد أن أصحبك، فقال: إذا مات أحدنا فمن يصحب الآخر؟ فقال: الله، قال: فليصحبه الآن. وفي هذا المعنى:

خذ عن الناس جانباً وارض بالله صاحباً قَلِّب الناس كيف شئت تجدهم عقارباً

* وقيل لإبراهيم بن أدهم لمَ لم تصحب الناس؟

فقال: إن صحبت من هو دوني آذاني بجهله، وإن صحبت من هو فوقي تكبر، وإن صحبت من هو مثلي حسدني فاشتغلت بمن ليس في صحبته ملال ولا في وصله انقطاع ولا في الأنس به وحشة.

❀ ❀ ❀

الثعبان الأقرع ينتظر تارك الصلاة

حكي الإمام القرطبي أن رجلاً تاركاً للصلاة، جاؤوا ليدفنوه وبعد حفر القبر نظروا فإذا الثعبان الأقرع قد أحلّ بجنبات القبر وركض ينتظر قدوم تارك الصلاة، فحفروا قبراً آخر، فإذا الثعبان الأقرع قد شق الأرض، وجلس في القبر الثاني فحفروا قبراً ثالثاً، فوجدوا الثعبان الأقرع فألقوه مع الثعبان الأقرع.

وحُكي مثل هذا في زماننا هذا إلا أنهم في المرة الثالثة حاولوا أن يخرجوا الثعبان الأقرع من القبر عن طريق الشرطة وغيرهم فخرج.

وبعد أن دفنوا تارك الصلاة جاء الثعبان الأقرع وشق الأرض وأحاط بتارك الصلاة إحاطة السوار بالمعصم حتى سمع المشيعون صوت تحطيم وتكسير عظم تارك الصلاة.